NYROUF

التراث الإنسانية

وفيات الأعيان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

د. محمد أحمد الحوفى

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤

مهرجان القراءة للجميع ٩٤

مكتبة الأسرة

(تراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

الانجاز الطباعى والفنى

محمود الهندى

مراد نسيم

أحمد صليحة

المشرف العام

د . سمير سرحان

وفيات الأعيان لابن خلكان

الدكتور أحمد محمد الحوفى

أستاذ الأدب العربى بكلية دار العلوم

ليس من التعصب فى شئ، ولا من التزيد فى قليل ولا كثير أن نشيد بجهود العرب فى فن التراجم والسير، وأن نعلن فى كثير من الثقة والإطمئنان أنهم سبقوا الغرب إلى هذا الفن بعدة قرون، ذلك لأن كتاب التراجم العرب عنوا بالشعب كما عنى المؤرخون بالساسة والملوك، فأرخوا لطوائف من الناس ليسوا من الملك ولا من السياسة فى شئ، وإنما هم نحاة أو شعراء أوكتاب أو قضاة أو مفسرون أو محدثون أو قواد أو

(*) طبع فى باريس سنة ١٨٣٨ ـ ١٨٤٢ وفى جوتنجن سنة ١٨٣٥ ـ ١٨٤٣. وفي مصر مرات منها طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١) وبهامشه الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية لأحمد شاكبرى زاده والعقد المنظوم فى ذكره أفاضل الروم لعلى بن بالى. وطبع أخيراً بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد فى ستة أجزاء سنة ١٣٦٩ (١٩٥٠) بمطبعة السعادة بالقاهرة.

مؤرخون أو أطباء أو متصوفة أو أصحاب مذاهب وآراء، أو ممن يجمعهم قرن أو بلد أو وصف معين، كما نرى فى الطبقات الكبير لابن سعد ٢٣٠ هـ (٨٤٤م) وفى طبقات الشعراء لابن سالم ٢٣١ هـ (٨٤٥م) وفي طبقات النساك لابن سعيد الأعرابى ٣٤١ هـ (٩٥٢م) وفى الأغانى للأصفهانى ٣٥٦ هـ (٩٦٦م) وفى أخبار القضاء المصريين لمحمد بن يوسف الكندى ٣٧٥ هـ (٩٨٥م) وفى كتابى معجم الشعراء وأشعار النساء للمرزبانى ٣٨٤ هـ (٩٤٤م) وفى تاريخ الصوفية للنسوى ٣٩٦ هـ (١٠٠٥م) وفى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٤٦٣ هـ (١٠٧٠م) وفى تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى ٥٦٥ هـ (١١٦٩م) وفى معجم الأدباء لياقوت ٦٢٦ هـ (١٢٤٨م) وفى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩م) وفى نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى ٧٦٤ هـ (١٣٦٢م) وفى طبقات الشافعية للسبكى ٧٧١ هـ (١٣٦٩م) وطبقات الحنفية لعبدالقادر القرشى ٧٧٥ هـ (١٣٧٣م) وفى بغية الوعاة للسيوطى ٩١١ هـ (١٥٠٥م) وفى كثير من مئات الكتب التى جال مؤلفوها فى هذه الميادين جولات، فخطوا بهذا الفن خطوات فسيحات.

وبهذا تفوقوا على الغربيين لا بالسبق وحده، بل بكثرة المؤلفات ووفرتها وشمولها وتنوعها وعنايتها بأعيان كل علم أو فن أو عصر أو قطر أو مدينة، مع التدقيق فى ضبط الأعلام، والحفاوة بالنساء، وتحقيق سنوات الوفاة، وتحرى سنى الميلاد على قدر المستطاع، ومع تسجيل المعالم البارزة من حياة المترجم لهم، وذكر مؤلفاتهم كلهاأو أكثرها، والتمثيل بنماذج من شعرهم ونثرهم.

على أن العرب سبقوا إلى الترجمة الذاتية سواء أكانت تسجيلاً لحياة كاتبها أم يوميات يدون فيها أبرز أعماله، فكتب بعضهم تراجم حياتهم بأقلامهم كما فعل ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٦م) وأسامه بن منقذ ٥٨٤ هـ (١١٨٨م) إذ دون فى كتابه الاعتبار يوميات قص فيها مظاهر بطولته، وعمارة اليمنى ٥٦٩ هـ (١١٧٣م) فى كتابه النكت المصرية، والعماد الأصفهانى ٥٩٧ هـ (١٢٠٠م) فى مقدمة كتابه البرق الشامى، ولسان الدين بن الخطيب ٧٧٦ هـ (١٣٧٤م) فى كتابه الإحاطة فى تاريخ غرناطة، وابن خلدون ٨٠٨ هـ (١٤٠٣م) فى كتابه التعريف الذى فصل فيه تاريخه ورحلاته وصلاته وأحداثه وقصائده، والسخاوى ٩٠٢هـ

(١٤٩٦م) فى كتابه الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع، والسيوطى ٩١١ هـ (١٧٠٥م) فى كتابه حسن المحاضرة، وهناك عشرات غير هؤلاء دونوا تاريخهم بأقلامهم.

وبهذا كانت التراجم الذاتية أسبق من الغربية بقرون، لأن انجلترا بدأت تعرف المذكرات اليومية، وتعتبرها نواة الترجمة الذاتية منذ كتب صمويل بيبيس مذكراته (١٦٣٣ ـ ١٧٠٣م)، وفى الزمن نفسه ظهرت بضع تراجم كتبها إيزاك والتون، ولأن فرنسا لم يكن لها عهد بهذه اليوميات، حتى كتب ريتز مذكراته سنة ١٦٧٢م.

مؤلف الكتاب

أما مؤلف وفيات الأعيان، فهو أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان قاضى القضاة، وكنيته شمس الدين، وكنية أبيه شهاب الدين. ولد بمدينة إربل (على وزن إثمد) وهى بالشاطئ الشرقى من دجلة على مقربة من الموصل سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١م) فتعلم بها أول الأمر، إذ درس البخارى على الشيخ الصالح ابن هبة الله سنة ٦٢١ هـ، ثم انتقل إلى الموصل ودرس على

الإمام كمال الدين بن يونس، ثم شخص إلى حلب سنة ٦٢٦ هـ وأقام بها سنتين حضر فيهما دروس الشيخ بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن شداد وتفقه عليه، وقرأ النحو على موافق الدين أبي البقاء يعيش بن على النحوى، ولم يلبث أن اتجه إلى دمشق سنة ٦٣٣ فسمع من على ابن الصلاح ولبث هناك أربع سنوات، انتقل بعدها إلى القاهرة سنة ٦٣٧ وحينئذ بدأ يتولى المناصب، فناب عن قاضى القضاه بدر الدين السنجارى، ثم ولى قضاء المحلة، ثم عين قاضياً للقضاة بالشام سنة ٦٥٩ هـ ومكث فى هذا المنصب الكبير عشر سنوات إلى أن عزل سنة ٦٦٩، فعاد إلى مصر ولبث بها سبع سنوات أعيد بعدها إلى وظيفته بالشام، حتى عزل سنة ٦٨٠، ثم توفى بدمشق فى شهر رجب سنة ٦٨١ (١٢٨٢م) ودفن بالصالحية.

ويذكر ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب أن شمس الدين كان موسوما بجمال الصورة، معروفاً بفصاحة المنطق، وغزارة العقل، وثبات الجأش ونزاهة النفس...

وينقل عن الذهبى أنه كان إماماً فاضلاً متقناً، عارفاً بمذهب الشافعى، حسن الفتاوى، جيد القريحة،

بصيراً بالعربية، علامة فى الأدب والشعر وأيام الناس، كثير الإطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة من أشراف الناس، كريماً جواداً، ممدّحاً.

ومما ذكره ابن العماد الحنبلى من فضائله أنه لم يكن يستطيع أحد أن يتناول فى مجلسه آخر بغيبة، واستدل بحادثة تدل على كلفه بصيانة سمعة الناس وحمايتهم من التشهير.

ولابن خلكان شعر رقيق منه قوله:

يا سادتى إنى قنعت وحقكم

فى حبكم منكم بأيسر مطلب

إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً

وقصدتم هجرى وفرط تجنبى

لا تحرموا عينى القريحة أن ترى

يوم الخميس جمالكم فى الموكب

قسماً بوجدى فى الهوى وتحرقى

وتحـــــيرى وتلهفى وتلهبى

لو قلت لى جدلى بروحك لم أقف

فيما أمرت وإن شككت فجرب

وحياة وجهك وهو بدر طالع

وبياض غرتك التى كالغيهب

وبقامة لك كالقضيب ركبتُ من

أخطارها فى الحب أصعب مركب

لو لم أكن فى رتبة أرعى لها الـ

ـــعهد القديم صيانة للمنصب

لهتكت سترى فى هواك ولذلى

خلع العذار ولج فيك مؤنبى

وله فى وصف ملاح يسبحون فى غدير:

وسرب ظباء فى غدير تخالهم

بدورا بأفق الماء تبدو وتغرب

يقول خليلى والغرام مصاحبى

أما لك عن هذى الصبابة مذهب؟

وفى دمك المطلول خاضوا كما ترى

فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

الكتاب

متى ألفه؟

لم يحدد فى المقدمة الزمن الذى ألفه فيه، ولكنه حدد زمن ترتيبه فقال إنه تم فى سنة ٦٥٤ هـ بالقاهرة، وحينما نرجع إلى خاتمة الكتاب يتبين لنا أن هذا الترتيب لم يكن آخر تعديل فى الكتاب، وأنه عاوده بالتنقيح والتكميل، لأنه قال: إننى تركت مصر عائداً إلى الشام فى خدمة أبى الفتح بيبرس سنة ٦٥٩ لتقلد أحكامها «يقصد المرة الأولى» ثم فصلت بعد عشر سنين، وعدت إلى مصر سنة ٦٦٩، ومكننى فراغى من مراجعة كتب كنت أوثر الوقوف عليها وأخذت منها حاجتى، وتممت الكتاب، سنة ٦٧٢ بالقاهرة.

ويفهم من المقدمة أنه قضى سنوات فى جمع مادة الكتاب، وتدوين مسوداته، وأنه نقحه مرات حتى أكمله.

ولا شك أن رحلاته وتنقله من قطر إلى قطر، واطلاعه على كثير من كتب التراجم والتاريخ، واتصاله بكثير من العلماء، كل هذا كان معيناً استقى منه المعارف التى سجلها فى زمن طويل.

موضوعه

سجل فى هذا الكتاب تاريخ جماعة من الفضلاء عددهم ٨٢٦.

فيهم الملك والأمير والوزير والشاعر والكاتب والعالم والمؤلف والطبيب والفيلسوف وكل من له شهرة ونباهة من رجال ونساء مسلمين وغير مسلمين.

ولم يترجم للصحابة والتابعين إلا لقليل منهم تدعو الحاجة إلى ذكرهم لمعرفة أحوالهم، ولا لأحد من الخلفاء اكتفاء بالمؤلفات الكثيرة التى تناولتهم.

وقد كانت كتب التراجم قبله تقتصر على نوع معين من الناس لا تعدوه، كالصحابة أو التابعين أو المفسرين أو المحدثين أو الشعراء أو الفقهاء أو النحاة أو أعلام بلد معين.

فلما ألف كمال الدين الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١م) كتابه نزهة الألباء فى طبقات الأدباء خالف هذا المنهج فى ناحيتين:

الأولى: أنه ترجم لأشخاص لا تجمعهم رابطة معينة من ثقافة أو زمن أو إقليم، وإن أولى علماء اللغة والنحو والأدب عناية خاصة.

الثانية: أنه رتب الأعلام طبقاً لتاريخ الوفاة لا طبقاً لحروف الهجاء.

ثم جاء ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨م) فألف كتابه إرشاد الأريب أو معجم الأدباء، ترجم فيه لمئات من المؤلفين فى اللغة والنحو والقراءات والتاريخ والأدب المنثور،ورتب أسماءهم ترتيباً هجائياً دقيقاً مراعياً الحرف الأول وما بعده إلى الرابع، فان اتفق الاسمان رجع إلى اسم الوالد، وعنى بتحرى زمن الميلاد والوفاة قدر جهده.

أما ابن خلكان فلم يحبس كتابه على طائفة معينة يجمعها علم أو وصف، أو علي طوائف محددة يجمعها إقليم أو عصر، بل جعله عاماً يضم كل ذى شهرة.

منهجه

١ ـ رتب الكتاب ترتيباً هجائياً، بدأه بالإعلام التى أولها همزة، وختمه بالأعلام التى أولها ياء، فابراهيم قبل جمال الدين، وعبدالعزيز قبل محمود، غير أنه راعى أول الاسم وثانيه فقط،ولهذا ذكر مسلم بن الحجاج النيسابورى قبل مسعود بن مسعود، وهذا قبل مسعود بن عبدالعزيز، بل لم يراع الحرف الثانى أحياناً، فقدم

همام بن غالب بن صعصعة على هلال بن الحسن الصابى، ولم يراع اسم الأب إذا اتفقت أسماء المترجم لهم، فقدم الوليد بن عبيد البحترى على الوليد بن طريف ابن الصلت الشيبانى.

لكن هذا الترتيب الهجائى على ما فيه أسهل من الترتيب على سنى الوفاة، وأيسر فى العثور على العلم المراد، ولكنه لم يسلم من مشقة يعانيها الباحث، لأن المؤلف صرف النظر عن الكنى والألقاب، كما فعل أكثر مؤلفى المعاجم التاريخية فى ذلك العصر، واعتبر الإعلام هى الأساس، فذكر أبا تمام فى حرف الحاء لأن اسمه حبيب، وابن سينا فى حرف الحاء لأن اسمه الحسين، وأبا الأسود الدؤلى فى حرف الظاء، لأن اسمه ظالم، والشريف الرضى فى حرف الميم لأن اسمه محمد، وصلاح الدين الأيوبى فى حرف الياء لأن اسمه يوسف، والفراء النحوى فى حرف الياء لأن اسمه يحيى، وهكذا.

كذلك لم يراع تجانس الأعلام المتلاحقة، فقاض بعده شاعر، ومؤرخ بعده سلطان، ومتكلم بعده كاتب.. إلخ. وإن حدث تجانس كان سببه أن أوائل الأسماء من

حرف واحد، وقد فطن إلى هذا كما ذكر فى المقدمة، ولكنه تغاضى عنه.

ولم يراع تفاوت العصور، فعلم من القرن الأول بعده علم من القرن الرابع، وعلم من القرن السابع بعده علم من القرن الثانى وهكذا، وقد تتلاحق أعلام من قرن واحد، لأن أوائلها متفقة الحرف، ولم يغفل المؤلف عن هذه المفارقة، ولكنه صرف النظر عنها.

وإذ كان فى هذا الترتيب تعمية وتصعيب وتضييع لوقت الباحثين، حتى ليخيل إلى الإنسان أحياناً أن ابن خلكان لم يترجم للعلم الذى يريده، لأن كثيراً من الأعلام معروفون بكناهم أو بألقابهم، وليسوا معروفين بأسمائهم، ولأن التنقيب عن علم معين يقتضى كثيراً من الجهد، فقد تدارك ذلك الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد بالفهارس التى ألحقها بالكتاب، فرتب الأعلام كلها ترتيباً هجائياً دقيقاً، وذكر الكنى والألقاب والنسب فى مواضعها وأمام كل منها اسم صاحبه، ووضع فهرساً للزمان رتب فيه أعيان كل قرن ترتيباً هجائياً، ووضع فهرساً للفنون التى اشتهر بها هؤلاء الأعيان، فللفقهاء فهرس، وللشعراء فهرس، وللنحاة فهرس، وللمتكلمين فهرس، وهكذا.

٢ ـ وهو حريص على ضبط الأعلام المحتاجة إلى ضبط حتى تسلم من التحريف والتصحيف، وقد ضبطها ضبطاً معجمياً بالحروف لا بالحركات، لأن الحركات كثيراً ما تختلف وتوقع فى الخطأ، مثل قوله فى ترجمة أبى نصر محمد بن جهير إنها بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء، وقال السجستانى بضم الجيم وهو غلط، يقال ايضاً رجل جهير بين الجهارة أى ذو منظر، ويقال أيضاً جهير الصوت بمعنى جهورى الصوت، ومثل أبى نصر محمد بن طرخان، فقال طرخان بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف نون.

ومثل أبى عبيدة معمر بن المثنى، فإنه قال: معمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفى آخره الراء، والمثنى بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفى آخره ياء مثناة من تحتها.

وقال فى ترجمة أبى الوليد معن بن زائدة الشيبانى إن أحد أجداده اسمه الصلب بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة.

كذلك يدقق فى ضبط النسبة سواء أكانت إلى شخص أم إلى بلد كقوله : فيروز اباذ بكسر الفاء

وسكون الياء المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ساكنة وزاى مفتوحة وألف ساكنة وياء موحدة وألف بعدها ذال معجمة: بلدة بفارس، قاله الحافظ السمعانى فى كتاب الأنساب، وقال غيره هى بفتح الفاء. وقوله الأبيوردى بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة، وهذه النسبة إلى أبيورد، وهى بليدة بخسرامان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم.

وقوله فى ترجمة ابن الهبارية: الهبارية بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء هذه النسبة إلى هبار وهوجد أبى يعلى المذكور لأمه، وكرمان بكسر الكاف وقيل بفتحها وسكون الراء وفتح الميم وبعد الألف نون، وهى ولاية كبيرة تشتمل على مدن صغار وكبار، وهى متصلة بأطراف أعمال خراسان، ومن جانبها الآخر البحر.

وقوله فى ترجمة أبى عبدالله محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى: القيسرانى بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة والراء وبعد الألف نون، هذه النسبة قيسارية وهى بليدة بالشام على ساحل البحر. وهكذا.

وقد يشرح معنى الكلمة كقوله فى ابن بابشاذ: بابشاذ معناه السرور، وقوله فى ترجمة ابن التعاويذى: هذه النسبة إلى كتبة التعاويذ وهى الحروز، وقوله فى ترجمة ابن تومرت إن هذ كلمة بربرية، وقوله فى ترجمة أبى الفضل ابن العميد حينما جاء ذكر أبى حيان التوحيدى: لم أر أحداً ممن وضع كتب الأنساب تعرض إلى هذه النسبة، لا السمعانى ولا غيره، ولكن يقال إن أباه كان يبيع التوحيد ببغداد ، وهو نوع من التمر بالعراق، وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبى قوله:

يترشفن من فمى رشفات

هن فيه أحلى من التوحيد

وقوله فى ترجمة البحترى: هذه النسبة إلى بحتر وهو أحد أجداده، ومنبج بلدة بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها منبه، فعربت، فقيل منبج، ولكونها وطن البحترى كان يذكرها فى شعره كثيراً.

٣ ـ وهو يذكر اسم الشخص واسم أبيه وجده أو جدوده ونسبه ومولده إن وقف عليه، ويتحرى زمن الوفاة، ويورد الآراء المختلفة فى المولد والوفاة، كقوله فى

ترجمة ابن التعاويذى: كانت ولادته فى العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة، وتوفى فى ثانى شوال سنة أربع وقبل سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد، وقال ابن النجار فى تاريخه مولده يوم الجمعة وتوفى يوم السبت ثامن عشر شوال. وقوله فى ترجمة أبى عبدالله نافع مولى ابن عمر: توفى سنة سبع عشرة وقيل سنة عشرين ومائة.

وقوله فى ترجمة ابن قلاقس: كانت ولادته بثغر الإسكندرية يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة، وتوفى ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب.

وقوله فى ترجمة البحترى: كانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين، وتوفى سنة أربع وثمانين، وقيل خمس وثمانين، وقيل ثلاث وثمانين ومائتين، وقال ابن الجوزى: توفى البحترى وهو ابن ثمانين سنة، والله أعلم بالصواب، وكان موته بمنبج وقيل بحلب والأول أصح.

ولقد يعقب على الروايات المختلفة بترجيح إحداها كما رجح فى تاريخ وفاة ابن رشيق القيروانى أنه سنة ٤٦٣ هـ وقال إن هذه أصح من الرواية الثانية التى وجدا بخط بعض الفضلاء.

وقوله في ترجمة أبي مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوي: توفي سنة تسعين ومائة وقيل في السنة التي نكب فيها البراكمة وهي سنة سبع وثمانين ومائة وهو الأصح.

وقوله في ترجمة أبي زكريا يحيى بن معين البغدادي الحافظ المشهور: ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن وفاته كانت لسبع ليال من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وهو غلط قطعاً، لأنه ـ كما تقدم ـ خرج إلى مكة للحج ثم رجع إلى المدينة ومات بها، ومن يكون قد حج كيف يتصور أن يموت بذي القعدة من تلك السنة؟ فلو ذكر أنه توفي في ذي الحجة لأمكن، ويحتمل أن يكون هذا غلطاً من الناسخ، لكني وجدته في نسختين على هذه الصورة فيبعد أن يكون من الناسخ، ثم نظرت في كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث تأليف أبي يعلى الخليل ابن عبدالله، فوجدت أن يحيى بن معين توفي لسبع ليال بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة، فعلى هذا يكون قد حج.

ثم استدرك ابن خلكان على الخطيب البغدادي أنه ذكر أن مولد يحيى بن معين كان آخر سنة ثمان

وخمسين ومائة، وأنه قال بعد ذكر وفاته إنه بلغ سبعاً وسبعين سنة إلا عشرة أيام، وعلق ابن خلكان بقوله: إن هذا أيضاً لا يصح من جهة الحساب، فتأمله. يريد من ذلك أن الخطيب ناقض نفسه، لأنه ذكر من قبل أن وفاته كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، ثم ذكر بعد ذلك سنة الميلاد ومدة العمر، فتعين أن تكون الوفاة سنة خمس وثلاثين ومائتين، وهذا متناقض.

فإن لم يستطع تعيين زمن الوفاة صرح بعجزه كقوله في ترجمة المعتمد بن عباد، وأما أبو بكر بن اللبانة فما رأيت تاريخ وفاته فى شئ من الكتب، ولا رأيت من يعلم ذلك، لكن رأيت فى كتاب الحماسة التى صنفها أبو الحجاج يوسف البياسى أن ابن اللبانة قدم ميورقة فى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ومدح ملكها مبشر بن سليمان بأبيات، وعقب ابن خلكان بقوله: وكنت أظن أنه مات قبل المعتمد، لأنى ما رأيت له فيه مرثية إلى أن رأيت ما قاله البياسى.

٤ - ثم يورد المعالم البارزة من حياة المترجم وثقافاته وأساتذته وتلاميذه وأخلاقه وأحداثه وصلاته بغيره ومزاياه، ويشفع إليها أحياناً ملامح من أوصافه الجسدية وصفاته النفسية، كما يذكر مؤلفاته إن كان

من أصحاب التأليف، ونماذج من شعره أو نثره إن كان من أرباب الأدب. وكثيراً ما يستطرد إلى ذكر ما قيل فيه من مدح أو هجاء، كقوله فى ترجمة المعتمد بن عباد:

كان قد أوتى من جمال الصورة، وتمام الخلقة، وفخامة الهيئة، وسباطة البنان، وثقوب الذهن، وحضور الخاطر، وصدق الحدس، ما فاق على نظرائه، ونظر مع ذلك فى الأدب قبل ميل الهوى به إلى السلطان أدنى نظر بأذكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمد لها..

وقوله فى ترجمة أبى عبدالله محمد بن تومرت: كان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشناً مخلولقا، كثير الإطراق، بساماً فى وجوه الناس، مقبلاً على العبادة، لا يصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة، وكان شجاعاً فصيحاً فى لسان العرب والمغرب، شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع، لا يقنع فى أمر الله بغير إظهاره، وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك، متحملا للأذى من الناس بسببه، وناله بمكة شئ من المكروه من أجل ذلك، فخرج منها إلى مصر، وبالغ فى الإنكار، فزادوا فى أذاه، وطردته الدولة، فخرج من مصر إلى

الأسكندرية، وركب البحر متوجهاً إلى بلاده المغرب، وكان رجلا ربعة فظيعاً أسمر، عظيم الهامة، جديد النظر.

وقوله فى ترجمة هبة الله بن الشجرى:

كان حسن الكلام، حلو الألفاظ فصيحاً، جيد البيان والتفهيم.

وقوله فى ترجمة هبة الله بن الفضل بن القطان: كان غاية فى الخلاعة والمجون، كثير المزاح والدعابات، مغرى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم.

وقوله فى ترجمة أبى زكريا يحيى بن عبدالوهاب ابن بنده: كان جليل القدر، وافر الفضل، واسع الرواية، ثقة حافظاً، فاضلاً، مكثراً، صدوقاً، كثير التصانيف، حسن السيرة، بعيد التكلف.

٥ ـ وكثيراً ما يتعدى الاستشهاد بالشعر الذى يختاره من عيون قصائد الشاعر إلى دراسة أدبية نقدية، يقضى فيها برأيه، ويتتبع المعنى وتنقله، ويبين مافى النص من محاكاة أو إضافة أو تجديد، كما نجد فى ترجمته لابن خفاجة والأشهبى وسالم خاسر والحريرى والبحترى وغيرهم.

ولنضرب أمثلة على هذا، فهو يقول في ترجمة أبى المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى: وله من جملة قصيدة:

فسد الزمان فكل من صاحبته

راج ينافق أو مداج حاشى

وإذا اختبرتهم ظفرت بباطن

متجهم وبظاهر هشاش

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبى تمام الطائى من جملة قصيدة أجاد فيها كل الإجادة:

إن شئت أن يسود ظنك كله

فأجله فى هذا السواد الأعظم

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً

متبسماً عن باطن متجهم

ويقول فى ترجمة أبى عبدالله محمد بن القيسرانى: ومن معانيه البديعة قوله من جملة قصيدة رائعة:

هذا الذى سلب العشاق نومهم

أما ترى عينيه ملأى من الوسن

وهذا البيت ينظر إلى قول المتنبى فى مدح سيف الدولة بن حمدان:

نهبت من الأعمار ما لو وهبته

لهنئت فى الدنيا بأنك خالد

وقوله فى ترجمة المعتمد بن عباد: وله فى وداع حظاياه حينما عزم على إرسالهن من قرطبة إلى إشبيلية:

ولما وقفنا للوداع غدية

وقد خفقت فى ساحة القصر رايات

بكينا دماً حتى كأن عيوننا

وهذا ينظر إلى قول القائل:

يجرى الدموع الحمر منها جراحات

بكيت دماً حتى لقد قال عائدى

أهذا الفتى من جفن عينيه يرعف؟

ويقول فى ترجمة البحترى: إنه مدح المتوكل بقصيدة منها:

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما

فى وسعه لمشى إليك المنبر

وللمتنبى فى هذا المعنى:

لو تعقل الشجر التى قابلتها

مدت محيية إليك الأغصنا

وسبقهما أبو تمام بقوله:

لو سعت بقعة لإعظام نعمى

لسعى نحوها المكان الجديب

ويقول فى ترجمة أبى الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس: ومن محاسن شعره القصيدة التى مدح بها أبا الفضل سابق بن محمود، ومنها قوله:

طالما قلت للمسائل عنكم

واعتمادى هداية الضلال

إن ترد علم حالهم عن يقين

فالقهم فى مكارم أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النـ

ـقع خضر الأكتاف حمر النصال

وما أحسن هذا التقسيم الذى اتفق له، وقد ألم فيه بقول أبى سعيد محمد بن الحسين الرستمى الشاعر المشهور من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب ابن عباد، وهى من فاخر الشعر، وذلك قوله:

من النفر العالين فى السلم والوغى

وأهل المعالى والعوالى وآلها

إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم

وإن نازلوا أحمر القنا من نزالها

هذا والله الشعر الخالص الذى لا يشوبه شئ من الحشو.

ويقول فى ترجمة أبى الحسن منصور بن اسماعيل التميمى المصرى: ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ـ رحمه الله ـ فى طبقات الفقهاء، وأنشد له:

ما ضر شمس الضحا والشمس طالعة

ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

ويعلق بقوله: ومن هنا أخذ أبو العلاء المعرى قوله:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته

والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

وهذا الضرب كثير فى تعقيبات ابن خلكان.

ولا شك أن نزوعه الأدبى كان الباعث له على الاحتفال بالشعر تدويناً ونقداً وتعقيباً، وكان الموجه له إلى إطاله تراجم الشعراء والكتاب حتى بلغت الحد الذى لم تبلغه تراجم العلماء وغيرهم إلا قليلاً منهم.

٦ ـ وكثيراً ما يربط بين كبار العلماء والشعراء والملوك فى سنى ميلادهم أو وفاتهم ، كما ذكر فى ترجمة أبى الفرج الأصفهانى أنه فى عام ست وخمسين وثلاث مائة مات عالمان كبيران وثلاثة ملوك كبار، فالعالمان هما أبو الفرج وأبو على القالى، والملوك هم سيف الدولة بن حمدان، وكافور الإخشيدى، ومعز الدولة بن بويه.

وقوله فى ترجمة أبى عبيدة معمر بن المثنى: كانت ولادته فى شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة فى الليلة التى توفى بها الحسن البصرى رضى الله عنه.

٧ ـ ترجم لقليل من النساء مثل بوران بنت الحسن ابن سهل، وتقية بنت غيث الأرمنازى، ورابعة العدوية، وزبيدة بنت جعفر بن المنصور، وزينب بنت عبدالرحمن

بن الحسن بن سهل بن عبدوس، وسكينة بنت الحسين، ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي.

٨ ـ وهو إلى هذا لم يتبع طريقة السند التى اتبعها بعض المؤرخين متأثرين برواة الحديث النبوى الشريف، ولم يسجع كما كان يسجع كتاب عصره، بل عبر فى أسلوب مرسل بعيد من التكلف.

٩ ـ على أنه ليس محققاً ومدققاً فحسب، بل شفع إلى تحقيقه وتدقيقه أمانته العلمية.

وإن هذا ليتجلى فى مظاهر كثيرة، منها أنه اعتمد على مصادر أطمأن إلى صحتها، وسمع من أشخاص وثق بصدقهم، قال فى المقدمة: «كنت مولعاً بالإطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم ومواليدهم، فوقع لى منه شئ حملنى على الاستزادة وكثرة التتبع، فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن، وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين له ما لم أجده فى كتاب، ولم أزل على ذلك حتى حصل عندى منه مسودات كثيرة فى سنين عديدة، وقد بذلت الجهد فى التقاطه من مظان الصحة، ولم أتساهل فى نقله ممن لا يوثق به، بل تحريت فيه حسبما وصلت القدرة إليه».

ومنها أنه يذكر فى التراجم أسماء الكتب التى نقل منها أو الأشخاص الذين سمع منهم وروى عنهم، كقوله فى ترجمة أبى حنيفة النعمان: ذكره الأمير المختار المسبحى فى تاريخه فقال، وبعد أن نقل النص قال : وقال ابن زولاق فى كتاب أخبار قضاة مصر.

وقوله فى أخبار البحترى قال صالح بن الأصبغ التنوخى المنبجى... وحكى أبو بكر الصولى فى كتابه الذى وضعه فى أخبار أبى تمام...

وقوله فى ترجمة أبى المظفر محمد بن أحمد الأموى الأبيوردى الشاعر: ذكره أبو زكريا بن منده فى تاريخ أصبهان فقال ... وذكره الحافظ بن السمعانى فى كتاب الأنساب وفى كتاب الذيل ... وقوله فى ترجمة أبى يعلى محمد بن الهبارية: ذكره العماد الكاتب فى الخديدة فقال:

وقوله فى ترجمة المعتمد بن عباد: قال أبو الحسن ابن القطاع السعدى فى حق المعتمد ... وقال ابن بسام فى الذخيرة ...

وهكذا اقتضته أمانته العلمية أن يذكر مصادره التى نقل منها.

ونكتفى بهذا وبما ذكره فى ترجمة ابن تومرت من نقله عن كتاب تاريخ القيروان، وعن تاريخ ابن القفطى، وعن كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب،

وقوله إنه رحل من أقصى المغرب إلى المشرق، ثم خرج من مصر عائداً إلى بلاده حتى انتهى إلى المهدية إحدى مدن إفريقية، وكان ملكها يومئذ الأمير يحيى بن تميم المعز بن باديس الصنهاجى، وذلك فى سنة خمس وخمسمائة.

هكذا وجدته فى تاريخ القيروان، وقد تقدم فى ترجمة الأمير تميم والد يحيى المذكور أن محمد بن تومرت اجتاز فى أيام ولايته بأفريقية عند عودته من المشرق، وكنت وجدته كذلك أيضاً والله أعلم بالصواب، ولم يرحل إلى المشرق مرتين حتى يحمل ذلك على دفعتين، فإن كانت عودته فى سنة خمس كما ذكرنا، فهى فى ولاية الأمير يحيى، لأن أباه تميما توفى سنة إحدى وخمسمائة كما تقدم فى ترجمته، وإنما نبهت عليه لئلا يتوهم الواقف عليه أنه فاتنى ذلك، وهو متناقض.

ومنها أنه يصحح أغلاط غيره كقوله فى ترجمة ابن زهر الأندلسى: ذكر عماد الدين الكاتب فى كتاب

الخريدة قول أبى الطيب بن البزاز فى بعض بنى زهر:

قل للوبا أنت وابن زهر

جاوزتما الحد فى النكايه

ترفقا بالـــورى قليلا

فواحد منكما كفـايـه

ثم وجدت هذين البيتين لأبى بكر بن أحمد بن محمد الأبيض.

وقوله فى ترجمة أبى أيوب مطرف بن مازن: إن أبا اسحاق الشيرازى ذكر فى كتاب المهذب أن مطرفا هذا توفى سنة سبع وثمانين، وعقب بقوله إن أبا إسحاق نفسه ذكر أن الشافعى روى عن مطرف بن مازن، فياللعجب شخص يموت فى هذا التاريخ كيف يمكن أن يراه الشافعى، ومولد الشافعى سنة خمسين ومائة بعد موت مطرف بثلاث وستين سنة؟

ولما انتهيت في هذه الترجمة إلي هذا الموضع رأيت فى تاريخ أبى الحسن عبدالباقى بن قانع أن مطرف بن مازن توفى سنة إحدى وتسعين ومائة، وهذا يوافق ما ذكرته من أنه توفى فى أواخر خلافة هارون الرشيد.

وقد يفرغ من الترجمة ثم يقف على حقائق يرى إضافتها، فيفعل ذلك، كقوله فى ترجمة البوصيرى:

وبعد فراغى من ترجمة أمين الدولة ابن التلميذ المذكور وقفت على كتاب جمعه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبداللطيف البغدادى، وجعله سيرة لنفسه، وذكر فى أوائله ابن التلميذ ...

ومن مظاهر هذه الأمانة أنه إن اعتمد على ذاكرته فى العبارة نبه على ذلك. فقد ذكر فى ترجمة ابن الشجرى كلاماً لابن الأنبارى، ثم قال: وهذا الكلام وإن لم يكن عين كلام ابن الأنبارى فهو قال: وهذا الكلام وإن لم يكن عين الكلام ابن الأنبارى فهو فى معناه، لأنى لم أنقله من الكتاب، بل وقفت عليه منذ زمان، وعلق معناه بخاطرى، وإنما ذكرت هذا لأن الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الأنبارى فيجد بين الكلامين اختلافاً، فيظن أنى تسامحت فى النقل.

قيمته

هذا الكتاب من أمهات المراجع التاريخية والأدبية التى أغنت المكتبة العربية غنى يدرك جدواه المنقبون عن تاريخ الفكر والأدب.

١ ـ فهو ذخيرة لدارسى العلوم والآداب والتاريخ واللغة والاجتماع، جمع فيه مؤلفه خلاصة ما أودع العلماء قبله في تراجم الرجال والنساء، وقد ضاع كثير مما خلفوه فتكفل ببقائه، ثم أضاف إلى ما نقله عنهم ما سمعه من مخالطيه، وما عرفه عن معاصريه. وهؤلاء الأعلام الذين ترجم لهم ذوو ألوان شتى، ومن عصور متباعدة، ومن أقطار مختلفة، فهو بهذا كله ينبوع لدراسة الأدب وتاريخه، والعوامل المؤثرة فيه، ولمعرفة الأدباء، ونماذج من شعرهم ونثرهم، ومعرفة العلماء، وأسماء مؤلفاتهم، والإلمام بكثير من النظم والأخلاق والعادات وشئون المجتمعات.

٢ ـ ولهذا احتفى به لاحقوه، فنقلوا منه كثيراً، وذيلوا عليه، فمن الذى اختصروه ابنه موسى، وهذا المختصر فى المكتب الهندى بلندن، والبارزى، ومختصره فى مكتبة باريس، وابن حبيب ومختصره فى مكتبة برلين، ووجدى بن إبراهيم المتوفى سنة ١١٢٦ وبدار الكتب بالقاهرة نسخة من مختصره.

ومن الذين ذيلوا عليه الموفق فضل الله بن فخر الصقاعى فى كتابه (تالى وفيات الأعيان) ترجم فيه لمن

توفى بمصر والشام من سنة ٦٦٠ إلى ٧٢٥ ومن هذا الكتاب نسخة في باريس، ومحمد بن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ فى كتابه (فوات الوفيات) ذكر فيه ما فات ابن خلكان من التراجم، وترجم فيه للفضلاء الذين جاءوا بعده إلى عصره هو، فبلغت كلها نحو خمسين وخمسمائة، مرتبة على حروف الهجاء، وبعضها ذكره ابن خلكان، وقد طبع بمصر سنة ١٢٨٣ هـ ثم طبع ثانية سنة ١٢٩٩ هـ فى مجلدين.

وممن انتقدوه تاج الدين المخزومى سنة ٧٤٣، وقد ذيل عليه ثلاثين ترجمة، وفضل ابن الأثير عليه.

٣ - وقد ترجمه إلى اللغة الفارسية يوسف بن عثمان سنة ٨٩٥ هـ وترجمته بالمتحف البريطانى، وترجمه إلى الفرنسية دى سلان فى القرن التاسع عشر، ونشر بعضه مع ترجمة لاتينية فى لندن سنة ١٩٠٨، وترجم إلى التركية سنة ١٨٦٣.

٤ - ولبعض المستشرقين رأى فى الكتاب ينبئ عن تقدير وإعجاب، فقد وصفه المستشرق الإنجليزى نيكلسون فى كتابه تاريخ العرب الأدبى بأنه أول كتاب فى التراجم العربية العامة ألفه مسلم.

وجاراه في هذا الرأى المستشرق الإنجليزى جب، ولعلهما نظرا إلى تعدد الشخصيات التى ترجم لها، فقضيا له بالسبق، ومعنى هذا أنهما فضلاه على الأنبارى مؤلف نزهة الألباء من قبله، لأنه غلب فى كتابه النحاة واللغويين والأدباء، كما فضلاه على ياقوت، مؤلف معجم الأدباء، لأنه اختص به أصحاب المؤلفات والرسائل.

ولكنهما مع هذا الافتراض قد توسعا فى الحكم توسعاً أغفل الأنبارى، وجار على سبق ياقوت، لأن ياقوتاً أرخ لكثير من النحويين واللغويين والنسابين والقراء والإخباريين والمؤرخين والكتاب، وكل من صنف فى الأدب تصنيفاً أو جمع فيه تأليفاً.

نماذج منه

١ ـ من ترجمته للرازى قوله: أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب، ذكر ابن جلجل في تاريخ الأطباء أنه دبر مارستان الرى ثم مارستان بغداد في أيام المكتفى.

ومن أخباره أنه كان فى شبيبته يضرب بالعود ويغنى، فلما التحى وجهه قال: كل غناء يخرج من بين

شارب ولحية لا يستظرف، فنزع عن ذلك، وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة، فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها، فبلغ من معرفة غوابرها الغاية، واعتقد الصحيح منها، وعلل القيم وألف فى الطب كتباً كثيرة.

فمن ذلك كتاب «الحاوى» وهو من الكتب الكبار، يدخل فى مقدار ثلاثين مجلداً، وهو عمدة الأطباء في النقل منه،والرجوع إليه عند الإختلاف، ومنها كتاب «الجامع» وهو أيضا من الكتاب الكبار النافعة، وكتاب «الأعصاب» وهو أيضا كبير، وله كتاب «المنصورى» المختصر المشهور، وهو على صغر حجمه من الكتب المختارة، جمع فيه بين العلم والعمل، ويحتاج إليه كل أحد، وكان قد صنفه لأبى صالح منصور بن نوح، أحد الملوك السامانيين، فنسب الكتاب إليه، وله غير ذلك تصانيف كثيرة، وكلها يحتاج إليها، وكان اشتغاله بالطب على الحكيم أبى الحسن على بن زيد الطبرى صاحب التصانيف المشهورة التى منها «فردوس الحكمة» وغيره، وكان مسيحياً ثم أسلم، توفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، رحمه الله، ومولده سنة أربع وثلاثين ومائتين بفرغانة.

٢ ـ ومن ترجمته لأبى عبيدة معمر بن المثنى: التيمى بالولاء، تيم قريش، البصرى النحوى العلامة، قال الجاحظ فى حقه: لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم منه، وقال ابن قتيبة فى كتاب المعارف: كان الغريب أغلب عليه، وأخبار العرب وأيامها، وكان مع معرفته لم يقمم البيت إذا أنشده حتى يكسره، يبغض العرب، وألف فى مثالبها كتباً، وكان يرى رأى الخوارج.

روى عنه على بن المغيرة الأثرم وأبو عبيد القاسم ابن سلام، وأبو عثمان المازنى، وأبو حاتم السجستانى، وعمر بن شبة النميرى وغيرهم.

وكان أبو نواس يتعلم من أبى عبيدة ويصفه، ويسب الأصمعى ويهجوه، فقيل له: ما تقول فى الأصمعى؟ فقال: بلبل فى قفص. قيل له: فما تقول فى خلف الأحمر؟ فقال: جمع علوم الناس وفهمها، قيل له: فما تقول فى أبى عبيدة؟ فقال: ذاك أديم طوى على علم.

وتصانيفه تقارب مائتى مصنف، منها كتاب مجاز القرآن الكريم، وكتاب غريب القرآن، وكتاب معانى القرآن، وكتاب غريب الحديث، وكتاب الديباج، وكتاب

التاج، وكتاب المنافرات، وكتاب الخيل ... وكانت ولادته في شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة، وقيل في سنة إحدى عشر ومائة، وقيل أربع عشرة وقيل ثمان وقيل تسع والأول أصح، وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة، وقيل سنة إحدى عشر، وقيل سنة عشر، وقيل سنة ثلاث عشرة.

٣ ـ ومن ترجمته للبحتري: أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر .. الطائي البحتري الشاعر المشهور.

ولد بمنبج ، وقيل بزردفنة وهي قرية من قراها، ونشأ وتخرج بها، ثم خرج إلى العراق، ومدح جماعة من الخلفاء، أولهم المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من الأكابر والرؤساء، وأقام ببغداد دهراً طويلاً، ثم عاد إلي الشام. وله أشعار كثيرة، فيها ذكر حلب ونواحيها، وكان يتغزل بها. وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد، ومحمد بن خلف بن المرزبان، والقاضي أبو عبدالله الحاملي، ومحمد بن أحمد الحكيمي، وأبو بكر الصولي وغيرهم.

قال صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي: رأيت البحتري ها هنا عندنا قبل أن يخرج إلى العراق، يجتاز

بنا فى الجامع من هذا الباب، يمدح أصحاب البصل والباذنجان، وينشد الشعر فى ذهابه ومجيئه، ثم كان منه ما كان فى علوة التى شبب بها فى كثير من أشعاره، وهى بنت زريقة الحلبية، وزريقة أمها.

وقيل للبحترى: أيهما أشعر أنت أم أبو تمام؟ فقال: جيده خير من جيدى، ورديئى خير من رديئه.

وكان يقال لشعر البحترى سلاسل الذهب، وهو فى الطبقة العليا.

ويقال إنه قيل لأبى العلاء المعرى: أى الثلاثة أشعر: أبو تمام، أم البحترى، أم المتنبى؟ فقال: المتنبى وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحترى.

وقال البحترى: أنشدت أبا تمام شعراً لى فى بعض بنى حميد، وصلت به إلى مال له خطر، فقال لى: أحسنت، أنت أمير الشعراء بعدى، فكان قوله هذا أحب إلي من جميع ما حويته.

ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولى، ورتبه على الحروف، وجمعه أيضاً على بن حمزة الأصبهانى، ولم يرتبه على الحروف، بل على الأنواع كما صنع بشعر أبى تمام. وللبحترى كتاب حماسة على مثال حماسة أبى تمام، وله كتاب معانى الشعر.

وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين، وتوفى سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين، وقيل ثلاث وثمانين ومائتين، والأول أصح.

وبهذه الترجمة التى استغرقت عشر صفحات نماذج من شعر البحترى وأخباره.

٤ ـ من ترجمته لأستاذه ابن يعيش.

ذكر أساتذه ابن يعيش، وذكر رحلاته، ثم تلمذته عليه، وابتداءه بكتاب اللمع لابن جنى ... ثم قال: وكان حسن التفهيم، لطيف الكلام، طويل الروح على المبتدى والمنتهى، وكان خفيف الروح، ظريف الشمائل، كثير المجون، مع سكينة ووقار.

كنا يوماً نقرأ عليه بالمدرسة الرواحية،فجاءه رجل من الأجناد وبيده مسطور بدين، وكان الشيخ له عادة بالشهادة فى المكاتيب الشرعية، فقال: يا مولانا، اشهد على ما فى السطور، فأخذه الشيخ من يده وقرأ أوله: أقرت فاطمة ... فقال له الشيخ : أنت فاطمة؟؟ فقال الجندى: يامولانا الساعة تحضر، وخرج إلى باب المدرسة فأحضرها وهو يبسم من كلام الشيخ.

ويقرب من هذا ما تقدم ذكره فى ترجمة عامر الشعبى أن شخصاً دخل عليه وعنده إمرأة. فقال:

أيكما الشعبي؟ فقال له: هذه.

وكنا يوماً نقرأ عليه في داره، فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام ماء، فأحضره، فلما شرب قال: ما هذا إلا ماء بارد، فقال له الشيخ: لو كان خبزاً حاراً كان أحب إليك ...

وله نوادر كثيرة يطول ذكرها.

وكانت ولادته لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة بحلب، وتوفي بها في سحر الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة، ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسوب إلى إبراهيم الخليل، صلوات الله وسلامه عليه، ورحمه الله.

مراجع البحث

١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية.

جرجي زيدان. الجزء الثالث.

٢ ـ التراجم والسير.

الأستاذ محمد عبدالغني حسن. طبع دار المعارف

٣ ـ حسن المحاضرة.

السيوطي. الجزء الأول.

٤ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

ابن حجر العسقلانى. طبعة حيدر اباد.

٥ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب.

ابن العماد الحنبلى. طبعة ١٣٥١ الجزء السادس.

٦ ـ طبقات الشافعية الكبرى.

السبكى. الطبعة الأولى الجزء الخامس.

٧ ـ فوات الوفيات.

ابن شاكر. طبعة بولاق ١٨٢٣.

٨ ـ معجم الأدباء.

ياقوت. طبعة فريد رفاعى.

٩ ـ النجوم الزاهرة.

ابن تغرى بردى. طبعة دار الكتب ١٩٣٩.

١٠ ـ نزهة الألباء فى طبقات الأدباء.

الأنبارى. القاهرة ١٢٩٤.

١١ ـ وفيات الأعيان.

ابن خلكان. مطبعة السعادة ١٩٥٠

١٢ ـ A literary History of the Arabs, by Reynold A. Nicholson. London, 1907.

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٥١٦٧

I.S.B.N 977-01-3930-0